

من هم المثقفون؟!

<?xml encoding="UTF-8?">



بادرني زائري المشهود له في مجتمع المثقفين والذي ما عرفته إلا حاضراً فاعلاً بينهم ، وقد عاد لتوه من معرض الكتاب.. قال: أمرٌ محير حقاً، هل تُعرّف لي مَنْ هو المثقف؟

ولم ينتظر جوابي.. فتابع:

يبدو أن مصطلح المثقف كمصطلحات كثيرة تتطير من حولنا ولم تجد، ويبدو أنه لن تجد تفسيراً لها.

يكثر استعمال مصطلح "المثقف" من دون أن يتطوع أحد لتعريفه ووضع حدود له تنظم استعماله حتى لا يطلق على عواهنه في كل مناسبة وحدث، فبتنا نلاحظ صدور بيانات بعد اجتماعات أو واقعة ويستعمل مصطلح "المثقفين" الذين يؤيدون أو يستنكرون أو يوافقون أو يرفضون.

ومنذ أيام قرأت بيانا سياسياً يستنكر فيه المثقفون حدثاً معيناً، وعندما هممت بتصفح بعض الأسماء، وجدت أن واحداً منهم أعرفه ثم تابعت تمحيصي لأجد أسماءً آخر أعرفها، واهتممت بالموضوع أكثر وراجعت بيانات واجتماعات أخرى... فرأيت التالي:

أحد "المثقفين" المدرجين في اللوائح لم يصل إلى الشهادة المتوسطة، وليس هذا عيباً وإنما انصرف إلى عمل حرفي ثم أخذ يتعرف ويدخل بعض الأجواء الإجتماعية وأصبح له شأن، فحمل هذا اللقب!!

وآخر كان زميلاً في مدرستنا ثم خرج وإتخذ له عملاً ميكانيكياً بسيطاً إلى أن شاءت الظروف أن يصبح من الأغنياء ... فأصبح اسمه يدرج في لائحة المثقفين كل مرة!!

وزميل ثالث لم أعرفه إلا بتنميق كلامه واكتثاره من هوايته في إستعمال السجع والقوافي في كل شارد ووارد ... ففوجئت بأنه "مثقف شاعر" يُصدر الدواوين ويشارك في هيئات "التواقيع" على الكتب... وأخبرني أحد أقاربه أنه لا يفارق مقهى يرتاده "المثقفون" على ضفاف أحد شوارع بيروت!!

فعلاً أمر محير، ما معنى " المثقف"؟

أتسائل بصدق!

هل هو صاحب شهادة أو مستوى علمي معين أو ينطق بلغات أو يتابع السياسة أو لديه معلومات عامة أو لديه

القدرة ليتكلم في المجتمع أو يشارك في الندوات أم عنده اختصاص أم محصور بالأطباء والمهندسين أم تنضم اليهم فئة الاساتذة، وأي فئة من الأساتذة...؟

وماذا عن الفنانين والمطربين...الذين أيضا يُنسبون لهذه الفئة، ومن هم الفنانون والمطربون؟

وماذا عن الفلاح والطالب وصاحب الحرفة..

وهل بات كل صاحب تاريخ يساري أو اشتراكي أو تجربة حزبية يُنسب أيضاً لهذه الطائفة؟!

فعلاً نحن بحاجة لتعريف واضح وجلي حتى لا تتداخل الأمور بعدما بات استعمال هذا المصطلح شبه يومي وحتى لا يُظلم المثقفون ولا تُظلم الثقافة، ويبقى الأمر مستباحاً لكل طارئٍ وهاوٍ.

أمرٌ يشغل البال، خاصةً أننا نعلم فئة من أهل الرأي والحكمة والمسؤولية لم تساعدهم الظروف على البروز فلم يتشرفوا بالانتماء لطبقة المثقفين، وكثيرون غير ما ذكرت أعلاه نعرفهم وهم أصحاب مستويات علمية عادية أو أقل ساقطتهم الظروف للدخول في أحزاب أو جمعيات أو نشاطات إعلامية حتى لا نقول مؤسسات إعلامية... فأصبحوا خبراء ومحللين ومثقفين بقدرة قادر!

أعتقد أن هذا الطلب طلب عام لا يعارضه أحد تماماً كاستعمال مصطلح "النخب" الذي أصبح مستهلكاً ومموجاً الى حد بعيد، فمن أريد مدحه ورفعهِ وإبرازه أصبح من "النخب" ومن لم يحالفه الحظ كان من "الجماهير الشعبية" الكادحة!

من حقنا أن نعلم كيف نستعمل هذه المصطلحات، لأنها من جهة ترفع قوماً أكثر من موقعهم الطبيعي السوي، فيفسدون ويُفسدون، ومن جهة أخرى تُنقص من حقوق فئات شعبية كثيرة من الناس بل هي الأكثر، تحت عناوين ظالمة لأنهم من غير النخب وليسوا مثقفين بل هم من العوام.. فلا رأي لهم !

فمنَ لالعلاقات له، ومن لا إعلام له، يعيش معزولاً بين العوام،..... ويُنسب للصعاليك المحرومين من نعمة حمل لقب "المثقف".

بكل المقاييس الإنسانية وغيرها لا يجوز الحديث مع قوم باستعلاء، ومع قوم آخرين باستخفاف، وكلاهما ظلم ومجانبة للحقيقة¹.

1. الموقع الرسمي لسماحة السيد سامي خضرا(حفظه الله).